أثر العلوم الاسلامية في التحصين العقائدي والفقهي

أ.د. محمد عبد الرزاق الرعود
جامعة البلقاء التطبيقية - الاردن

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الملخص

إنه مما لا شك فيه ان العلوم الاسلامية بجميع فروعها، وما يتصل منها بالقرآن، او السنّة، او الفقه الاسلامي، أو التاريخ، او العقيدة، أو السيرة، أو غير ذلك من العلوم الأخرى النافعة للانسان والانسانية، كان لها الأثر البالغ في صياغة الشخصية المسلمة المتوازنة التي صنعت أمجادا وتاريخا، وبنت قمما حضارية فاخر بها المسلمون أرجاء الدنيا كلها، شارك في بناء هذه الحضارة السامقة التي طاولت الجوزاء في السماء، شارك في بنائها جميع أفراد المجتمع الاسلامي بمختلف فئاتهم وطبقاتهم وأجناسهم ذكورا وإناثا .

كما سجل التاريخ على صفحات من نور تلك التربية الاسلامية الرائعة والفريدة، والتي صقلت وحصّنت نفوس المؤمنين عقديا، وفقهيا، وفكريا، وثقافيا، ليكونوا في مأمن عن سهام الزيغ والضلال والانحراف، ونستذكر بهذا الصدد حديث حذيفة المخرج في الصحيحين: "كان الناس يسالون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أساله عن الشر مخافة ان يدركني ..." [1] لنعلم حرص المسلمين منذ طليعة هذه الامة على البحث عن اسباب التحصين ضد الفتن ليتعلموا فقه الفتن ورياح الضلال حتى قبل وقوعها .

هذا وارتأيت الكتابة ضمن هذا المحور وفق ما يلي:

- المبحث الأول: مفهوم العلوم الاسلامية، والتحصين العقائدي، وفيه ثلاثة مطالب:
- المطلب الأول: مفهوم العلوم الاسلامية .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- المطلب الثاني: مفهوم التحصين العقائدي .
- المطلب الثالث: مفهوم التحصين الفقهي .
- المطلب الرابع: فضل طلب العلم .
- المبحث الثاني: أثر العلوم الاسلامية في التحصين العقائدي والفقهي في عهد النبوة والخلفاء الراشدين .
- المبحث الثالث: أثر العلوم الاسلامية في التحصين العقائدي والفقهي إبان المد الاسلامي، والفتوحات الاسلامية، وفي عهد أوج الدولة الاسلامية .
- المبحث الرابع: أثر العلوم الاسلامية في التحصين العقائدي والفقهي في العصر الحديث .ودور مؤسسات التعليم الشرعي في العالم الاسلامي نحو الاجيال .
- المبحث الخامس: واقع المسلمين اليوم بين التأثر والتأثير، وواجب المسلمين اليوم إزاء التحديات المعاصرة .
- خاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات .

المبحث الاول: مفهوم العلوم الاسلامية، والتحصين العقائدي والفقهي،

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الاول: مفهوم العلوم الاسلامية:

مفهوم العلوم الاسلامية واسع وشامل للعديد من صنوف العلوم المفيدة ومنها:

1- الاصول: وهي القرآن الكريم، والسنّة الصحيحة، وآثار الصحابة الصحيحة، واجماع الأمة .

2- الفروع: المعاني التي فهمت من هذه الاصول، وتنبه لها المفسرون والفقهاء والاصوليون والمحدثون ونحوهم .

3- المقدمات: كعلم اللغة والنحو، فهما اساس لفهم نصوص كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

4- المتممات: كعلم القراءات، والتجويد، وعلم الحديث دراية ورواية، ونحو ذلك .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد عرفها القنوجي بما يلي: " قال: هي على صنفين: **الأول**: هي العلوم الحكمية الفلسفية، وهي التي يمكن ان يقف عليها الانسان بطبيعة فكره، ويهتدي بمداركه البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها، وأنحاء براهينها وجوه تعليمها، حتى يقفه نظره وبحثه على الصواب من الخطا فيها، من حيث هو انسان ذو فكر . **والثاني**: هي العلوم النقلية الوضعية، وأصل هذه العلوم النقلية كلها هي الشرعيات من الكتاب والسنّة التي هي مشروعة لنا من الله ورسوله، ثم يستتبع ذلك علوم اللسان العربي الذي هو لسان الملكة به نزل القرآن . وأصناف هذه العلوم النقلية كثيرة، وهي مأخوذه من الكتاب والسنة بالنص أو بالإجماع أو بالإلحاق، فلا بد من النظر في الكتاب ببيان ألفاظه أولا، وهذا هو علم التفسير، ثم بإسناد نقله وروايته إلى النبي صلى الله عليه وسلم الذي جاء به من عند الله تعالى، واختلاف روايات القراء في قراءاتهم، وهذا هو علم القراءات، ثم بإسناد السنة إلى صاحبها والكلام في الرواة الناقلين لها ومعرفة أحوالهم وعدالتهم، وهذه هي علوم الحديث، ثم لا بد في استنباط هذه الأحكام من أصولها من وجه قانوني يفيد العلم بكيفية هذا الاستنباط، وهذا هو أصول الفقه، وبعد هذا تحصل الثمرة بمعرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين، وهذا هو الفقه، ثم إن التكاليف منها بدني ومنها قلبي وهو المختص بالإيمان وما يجب أن يعتقد وما لا يعتقد، وهذه هي العقائد الإيمانية في الذات والصفات وأمور الحشر والنعيم والعذاب والقدر والحجاج عن هذه بالأدلة العقلية هو علم الكلام، ثم النظر في القرآن والحديث لا بد أن تتقدمه العلوم اللسانية لأنه متوقف عليها وهي أصناف فمنها علم اللغة وعلم النحو وعلم البيان وعلم الأدب " [2] .

وعليه نستطيع القول بأن **العلوم الاسلامية تشتمل** على علوم الشريعة (القرآن وعلومه، والحديث وعلومه، والفقه وأصوله، والعقيدة الاسلامية، وسائر العلوم الدينية)، والعلوم اللسانية (وهي كل ما تحتاجه علوم الشريعة ضمنا)، وعلوم التاريخ والجغرافيا، وسائر العلوم النافعة للبشرية كالطب والهندسة والكيمياء والفيزياء والرياضيات ونحو ذلك .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني: مفهوم التحصين العقائدي:

التحصين لغة: من الحصن، وهو مفرد الحصون، يقال: حصن حصين، اي بيّن الحصانة، وحصّن القرية تحصينا: بنى حولها، وتحصّن العدو، وأحصن الرجل اذا تزوج، فهو محصن "بفتح الصاد"، وأحصنت المرأة: عفت، وأحصنها زوجها، فهي محصنة ومحصّنة، قال ثعلب: كل امرأة عفيفة فهي محصنة ومحصّنة، وكل امرأة متزوجة فهي محصنة " بالفتح"[3].

وقال الواحدي: " الإحصان في اللغة اصله المنع، وكذلك الحصانة، ومنه: مدينة حصينة ودرع حصينة، اي تمنع صاحبها من الجرح، والحصن الموضع الحصين لمنعه "[4]

والحصن: كل موضع حصين لا يوصل الى ما في جوفه، وتحصن اذا دخل الحصن واحتمى به "[5] .

والعقيدة: لغة: عقد يعقد عقدا فهو عاقد، والمفعول معقود، وعقد الحبل: جعل فيه عقدة، جعل منه عروة وادخل احد طرفيه فيها وشده، عكس حلّه "[6] .اذا العقيدة ماخوذة من العقد وهو الربط بشدة .

وقال القنوجي: " المطلوب في التكاليف كلها حصول ملكة راسخة في النفس يحصل عنها علم اضطراري للنفس هو التوحيد، وهو العقيدة الايمانية، وهو الذي تحصل به السعادة، وان ذلك سواء في التكاليف القلبية والبدنية "[7] .

ونجد ان اول من وضع تعريفا اصطلاحيا لـ: " مصطلح العقيدة " في العصر الحديث هو الشيخ طاهر بن صالح الجزائري، قال: العقيدة الاسلامية هي الامور التي يعتقدها اهل الاسلام، اي يجزمون بصحتها "[8] .

ثم بعد ذلك عرفها الشيخ عبدالرحمن حبنكة بقوله: " هي الايمان بالشيء الى حد ان يصبح ذاك الشيء هو المحرك للعواطف والموجه للسلوك "[9] .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبعبارة اشمل واوسع نستطيع القول بان العقيدة الاسلامية هي: "الإيمان الجازم بالله، وما يجب له في الوهيته وربوبيته واسمائه وصفاته، والايمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين وأمور الغيب واخباره" [10].

بناء على ما تقدم فإن **مفهوم التحصين العقائدي** هو: حماية افكار افراد الامة ومعتقداتهم واخلاقهم، وتعزيز ثباتها امام التيارات الوافدة، وتغذية المناعة الايمانية لديهم لمواجهة الاخطار المحدقة بالعقيدة والفكر والسلوك، لايجاد الشخصية المسلمة السوية ذات الفكر الاسلامي المتزن والوسطي والبعيد عن الشطط والتطرف والانغلاق) .

المطلب الثالث: مفهوم التحصين الفقهي:

عرفنا في المطلب السابق معنى التحصين لغة واصطلاحا، أما **الفقه لغة** فهو: الفهم [11]، وقيل: العلم بالشيء والفهم له، يقال: أوتي فلان فقها في الدين اي فهما فيه، قال تعالى: ﴿ **لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ** ﴾[12] اي ليكونوا علماء به [13] .

واصطلاحا: "العلم بالاحكام الشرعية العملية من ادلتها التفصيلية" [14]، وقيل: هو الإصابة والوقوف على المعنى الخفي الذي يتعلق به الحكم، وهو علم مستنبط بالراي والاجتهاد"[15] .

وعليه فان مدخلنا لتعريف التحصين الفقهي سيما في هذا الزمن الذي اختلط فيه الحابل بالنابل، وكثر عدد المتعالمين والمفتين، وأصبح الدم رخيصا، بناء على فتاوى سفهاء الاحلام، حدثاء الاسنان، ذلك ان الفقه في الدين يجعل المرء المسلم ثابتا على قمة الوسطية، بعيدا عن طرفي الافراط والتفريط، اذ الحق حسنة بين سيئتين "[16] .

ومن هنا نستطيع القول بان **التحصين الفقهي** هو: " حماية افراد المجتمع المسلم من شذوذ وغلو الفتاوى الفقهية المستندة الى فكر متطرف، او فهم منحرف وتأويل فاسد، او طفولة فقهية مبكرة، او ردود افعال غير مدروسة، لحقد دفين او حسد مبين، او ولاء سقيم، مع ضرورة اتخاذ اهل العلم الفقهاء الحكماء الربانيين قدوة ليسيروا بالامة الى بر الامان وشاطيء السلام " [17] .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الرابع: ـ فضل طلب العلم:

وردت نصوص قرآنية واحاديث نبوية شريفة تحث على طلب العلم وتبين فضل العلماء، وطلب العلم، نذكر منها ما يلي:

1- قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا﴾ [18].

2- وقال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [19].

3- وقال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [20].

4- وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ﴾ [21].

5- وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [22].

6- وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [23]

7- عن انس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " طلب العلم فريضة على كل مسلم" [24]

8- عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اذا مات الانسان انقطع عنه عمله الا من ثلاثة: الا من صدقة جارية، او علم ينتفع به، او ولد صالح يدعو له" [25].

9- عن صفوان بن عسّال رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ان الملائكة لتضع اجنحت لطالب العلم رضا بما يصنع " [26].

10- عن معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين" [27]. وغير ذلك من الاحاديث الصحيحة التي تحث على طلب العلم وتبين فضله . وتبين ان اهل العلم يتميزون بعلومهم ومعارفهم، وبادراكهم عن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

غيرهم . وهذه الفضيلة لاتختص بطلب العلم الشرعي – لمكانة هذا العلم وكونه أول العلوم التي يجب أن يعرفها المسلم – فحسب، بل إنَّ هذه الفضيلة تمتدُّ إلى كل علم يكون للمسلم ولغيره فيه نفع في معيشته وحياته اليومية ما لم يتعارض مع مقاصد الشريعة الإسلامية، إنَّ العلوم الدنيوية ضرورة لتنمية معاش المسلمين، يقول الله تعالى: ﴿ **هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا** ﴾[28]، ويقول تعالى: ﴿ **فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ** ﴾[29]، وعمارة الأرض لا تكون إلاَّ عن علمٍ راسخ بمعرفة علوم الصناعة والزراعة وعلم راسخ في الاقتصاد والتجارة وطرق تنميتها واستثمار الوسائل العصرية الحديثة في خدمة الإسلام والدفاع عن حياض الأمة [30].

المبحث الثاني: اثر العلوم الاسلامية في التحصين العقائدي والفقهي في عصر النبوة والخلفاءالراشدين:

أولا: التحصين العقائدي: إن اول قطرة وحي نزلت على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم هي قوله تعالى: ﴿ **ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ** ﴾[31].

لنعلم يقينا ان ديننا دين علم وحق وحضارة ووعي وفكر، بعيد عن كل معاني الجهل والتخلف والضلال والانحراف فمنذ اول يوم بلّغ فيه رسول الاسلام دين ربه الى ان التحق بالرفيق الاعلى لم يجانب هذا النهج القويم وهو يصوغ ويبني صرح هذه الامة، مسترشدا بقول الله عزّ وجلّ: ﴿ **قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾** ﴾[32]. والبصيرة هي: الهدى واليقين والبرهان والمعرفة والعلم[33]، فأمضى صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر عاما في مكة داعيا ومعلما ومربيا وبانيا أصول الدين والعقيدة في نفوس اتباعها بالحكمة والاسلوب الامثل، فحصن افكارهم، وحمى عقولهم، وهذّب اخلاقهم بالقدوة الحسنة والنموذج الاكمل والاروع. وتابع الامر في المدينة بعد الهجرة يؤسس للمجتمع المسلم ولم ينتقل الى الرفيق الاعلى الا وقد تحول الاسلام بكل ما فيه من عقائد وتعاليم واخلاق الى واقع حي تظهر آثاره وثماره في الافكار والقلوب والسلوك [34]، ولطالما حرص صلى الله عليه وسلم على تحصين اتباعه ضد اي ضلال او زيغ او انحراف،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهذا ابن عباس رضي الله عنهما يحدثنا قائلا: "كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال: يا غلام اني اعلمك كلمات، احفظ لله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، اذا سألت فاسال الله، وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف " [35] .

في هذا الحديث توجيه كريم من المربي والقدوة لابن عباس رضي الله عنهما، وذلك حرصا منه صلى الله عليه وسلم على تحصينه بالعقيدة السليمة بهذه الكلمات الخالدة والتي هي له وللامة كلها من بعده، فلقد بين الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الحلال والحرام، وميّز بين الطيب والخبيث، وفق تشريع الحكيم سبحانه، حتى يهتدي به من بعده في ضوء منظومة متكاملة من التوجيهات العقدية والاخلاق الرفيعة، والصفات الحميدة، التي تحفظ للانسان دينه وعقله ونفسه وماله وعرضه، فلا يتعدى احد على احد، فيحصل بذلك التحصين من الانزلاق في الضلال والباطل والهوى، فيسلم المجتمع، وتسمو الاخلاق، ويأمن الناس على دينهم ودمائهم واموالهم واعراضهم وافكارهم ومبادئهم، مستذكرين بذلك الحديث الشريف: " والله ليتمّنّ الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون " [36] . مطمئنا بذلك خباب بن الارت حينما شكى له ما ينعرض له من عذاب، ومحذرا عقيدة الايمان في قلبه حتى لا يلامس قلبه خوف او وجل او شك في ان الله ناصرهم لا محالة . فهذا اثر التربية والتعليم وبناء الامة بناء عقديا سليما، اشاعوا به الامن والعدل والحق في العالم كله .

وهذا بلال بن رباح اخذه كفار مكة واغروا به الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول: أحد أحد "[37]، شانه شان اخوانه امثال صهيب وياسر وعمار والمقداد، جميعهم عذبوا ليتركوا عقيدة التوحيد ويكفروا بالله سبحانه، الا ان ثباتهم وتمسكهم بدينهم، وصلابتهم تعكس قوة تحصنهم بالعقيدة الصحيحة، وصدق ايمانهم وثقتهم بموعود ربهم لهم، وكتب السيرة تعج بعشرات الامثلة نحو ذلك .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"وقد كانت الاخوة نوعا جديدا من العلاقات لم يعهده المجتمع العربي قبل الاسلام، اذ كان ذلك المجتمع يقوم على رباط النسب والجنس، فجاء الاسلام ليجعل الترابط في مجتمعه على ذلك الاساس الروحي والفكري من وحدة العقيدة ووحدة الغاية، متخطيا في ذلك الروابط التي تحمل في طياتها عوامل التفكك وبذور الانهيار."[38]

فالتاريخ والسيرة شاهدان على نقاء وصفاء وسلامة نفوس وقلوب وعقول تلك الطليعة المباركة من هذه الامة، نقاء في التوحيد فلا تشوبه شائبة شرك او ضلال، وصفاء في النفوس فلا حقد ولا حسد ولا بغضاء ولا ضغينة، وها هم قد سطروا بالهجرة اروع مثل للاخوة الصادقة التي ظلت قرآنا يتلى الى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾[39]. واستقامة في السلوك والاخلاق فلا غش ولا كذب ولا خداع ولا زور ولا بهتان، فكان مجتمع الفضيلة والخير والسعادة، لقد امتثلوا ما جاءتهم به الرسالة الخالدة التي تضمنت النظام الكامل لعلاقة البشر مع خالقهم ومع بعضهم البعض، قال تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾[40].

ثانيا: التحصين الفقهي: والحال ذاته في منهج التربية الفقهية، اذ تلقوا علومهم مباشرة من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وطبقوها في حياتهم بكل يسر وسهولة وفهم راق، سواء في عباداتهم من صوم وصلاة وحج ونحو ذلك، او بيوعهم او زواجهم او مختلف علاقاتهم الاجتماعية، او جهادهم وعلاقاتهم الدولية، فلقد سجلت السيرة المطهرة كيف وظف الصحابة الكرام في عهد النبوة وبعدها ما تعلموه من رسولهم صلى الله عليه وسلم وساهموا في نهضة الامة ورقيها وتقدمها نحو الخير والفضيلة والسعادة والعز والنصر .

فمن المواقف الدالة على سعة افقهم في العلم، واستيعابهم لقضية الاختلاف في الراي ما حصل بعد غزوة الخندق، بسبب نقض يهود بني قريظة للعهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب: " لا يصلين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

احد العصر الا في بني قريظة، فادرك بعضهم العصر في الطريق فقال بعضهم لا نصلي ناتيها، وقال بعضهم: بل نصلي، لم يرد منا ذلك، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فلم يعنّف واحدا منهم"[41] .

أرايتم عظم المربي، وروعة أصحابه فلم ينع احد على احد، ولم يخطيء احد احدا، بل مارسوا الاجتهاد المشروع في فهم النصوص بما لديهم من لغة وادراك سليمين لمراد النبي صلى الله عليه وسلم من امره وتوجيهه، وبالمقابل جاء اقرار النبي صلى الله عليه وسلم لهم مؤيدا كلا الفريقين، مؤصلا بذلك لمبدأ الاجتهاد الهادف الى ايجاد حلول لكثير مما يحتاجه المسلمون في حياتهم .

ومما يؤكد اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم في تعليم أمته، ومحو اميتها ما تعامل به مع أسرى بدر – المشركين – حيث جعل شرط فدائهم ان يعلم كل واحد منهم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة" [42] ، وبذلك استطاعوا ان يتابعوا حركة العلم والتعلم الذي هو شريعة الله التي هي سبب حماية الامة وحفظها في الدارين، يقول الدكتور محمد رمضان البوطي: " ان الاحكام التي كانت سائدة في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي عصر الخلفاء الراشدين، وفي العصور التي تلت ذلك، كانت الاحكام الشرعية التي تنزلت من عند الله عزّ وجلّ، وانها كانت تتجاوب مع مصالح الناس وانها كانت تحميهم من الشرور والاخطار، وان هذا هو الدليل القاطع على ان الشريعة الاسلامية كانت صالحة للتطبيق لا في عهد ضيق محدود بل في سائر العصور التي خلت " [43]

ويضاف إلى هذا تدريب الصحابة الكرام على الاجتهاد، واستعمال ما لديهم من قدرات الفهم واستنباط الإحكام، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يصوِّب من أصاب باجتهاده من أصحابه، ويردُّ مَن أخطأ إلى وجه الصواب، إذ كانوا يعرضون عليه فتاواهم أو تصرفاتهم التي اعتمدوا فيها على اجتهاداتهم الخاصَّة بعد مرور الحوادث التي اجتهدوا فيها، وقد برزت طائفة من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم في علوم الدين وحفظ مسائله، وفي فهم نصوص القرآن والسُّنَّة، وفي معرفة مقاصد الشريعة، وفي استنباط الأحكام الفقهية، وأثنى الرسول صلى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الله عليه وسلم على بعضهم في حياته، وتُعَدُّ المرحلة الثانية من مراحل نشأة وتطوُّر الفقه الإسلامي، تلك التي جاءت بعد انقطاع الوحي ووفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو عصر الصحابة رضوان الله عليهم (من سنة 11 إلى سنة 40هـ..

فقد استجاب الصحابة رضوان الله عليهم للرسول صلى الله عليه وسلم وهو يدعوهم إلى نقل كلامه حين قال: "نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِع مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ؛ فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ [44]

ولم يكن عمل الصحابة رضوان الله عليهم مجرد النقل، بل كان واجبًا عليهم أن يستنبطوا، وأن يجتهدوا آرائهم، وذلك فيما لم يَرِدْ فيه نصٌّ، ولم يعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم فيه أمرًا، وقد وجَّههم عليه صلى الله عليه وسلم إلى ذلك حين حثَّ على الاجتهاد وجعل له ثوابًا فقال صلى الله عليه وسلم: "اذا حكم الحاكم فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْر" . فالمجتهد في كلا الحالين مثاب .[45]

وبالتالي فقد بقي الدين والفقه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وإلى اليوم، فاقتدى الناس بعد وفاته صلى الله عليه وسلم بهديه وهدي الخلفاء الراشدين من بعده، وكان أبو بكر – رضي الله عنه – يقضي بينهم ويفتيهم بما وجده في القرآن والحديث، " فإن أعياه خرج فسأل المسلمين فقال: أتاني كذا وكذا فهل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في ذلك بقضاء ؟ فربما اجتمع إليه النفر كلهم يذكر من رسول الله فيه قضاء . فيقول أبوبكر: الحمدلله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا . فإن أعياه أن يجد فيه سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع رؤوس الناس وخيارهم فإذا اجتمع رأيهم على شيء قضى به" .

وهكذا فعل عمر رضي الله عنه من بعده، ثم إن الصحابة رضي الله عنهم تفرقوا في الأمصار معلمين ومجاهدين بعد أن اتسعت رقعة البلاد الإسلامية، وكان كل منهم يفتي بما بلغه من القرآن أو السنة أو بعملٍ رأى أبابكر أو عمر يفعلانه أو بما أداه إليه اجتهاده. والمفتون من الصحابة أكثر من المائة، المكثرون منهم –كما يقول ابن القيم – سبعة، وهم: عمر بن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبدالله بن مسعود، وعائشة أم المؤمنين، وزيد بن ثابت، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر رضي الله عنهم جميعا [46] .

بهذا يتضح مدى عظم البنيان العقدي والعلمي والفقهي، المكي منه والمدني، وكيف شكل درعا آمنة وحصنا حصينا للامة، وحفظهم من الضياع والتيه في زحام الافكار واختلاف الآراء، والذي اصبح اساسا لصروح العلم والمعرفة فيما بعد، مما سهل عليهم مهمة تبليغ هذا العلم، وتأدية الامانة للاجيال القادمة بكل حرص وصدق ووعي مدركين فرضية العلم والتعليم، مؤكدين للدنيا باسرها شرف تلمذتهم على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفخر حملهم للواء العلم والفضل وكيف تحصنوا بذلك بكل عفوية صادقة وبراءة نقية، مستذكرين حديث قدوتهم ومربيهم صلى الله عليه وسلم: " يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتاويل الجاهلين " [47] .

متمسكين بهدي نبيهم صلى الله عليه وسلم القائل: " اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وان كان عبدا حبشيا، فانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، واياكم ومحدثات الامور، فان كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة " [48] . وفعلا اظهر التاريخ ان ما حدث من خلافات وفتن في قادم الايام، لم ينج منه الا من حافظ على اتباعه المقتصد المتنزن البعيد عن الشطط والانحراف والهوى .اذ ظهرت في آخر خلافة علي بن ابي طالب رضي الله عنه فرقة الخوارج التي لجأت الى التاويل الفاسد لنصوص الشرع، والانشقاق عن صف الجماعة، فحصل ما حصل من اقتتال وفرقة ونزاعات لا زالت الامة تدفع ثمنها ليومنا هذا .

المبحث الثالث: أثر العلوم الاسلامية في التحصين العقائدي والفقهي ابان المد الاسلامي والفتوحات الاسلامية، وفي عهد اوج الدولة الاسلامية:

يشتمل هذا المبحث على بيان أثر العلوم الاسلامية عامة: الشرعية منها وغير الشرعية، في حفظ وتحصين المجتمع الاسلامي بمختلف اطياف منظومته ومؤسساته، عقديا وفقهيا وتربويا،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بدءا من عصر التابعين الذين تتلمذوا على اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى امتداد رقعة الدولة الاسلامية مع كل مراحلها وفتوحاتها وازدهارها شرقا وغربا .

أولا: التحصين العقائدي: على صعيد العقيدة واثرها في تحصين الامة لمواجهة أعاصير الافكار المنحرفة والهدامة والتي اوصلت معتنقيها الى مهاوي الردى ومنزلقات الضياع، فانني ساوضح جوانب هذا التحصين وفق ما يلي:

1ـ أثر العلم في التحصين العقائدي عند القادة وولاة الأمر:

قال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾[49]. غلب على ولاة الامر والخلفاء في العصور الاسلامية المختلفة، حبهم للعلم والعلماء، ومجالستهم ومناظرتهم حتى اصبحوا علماء في جوانب متعددة من الدين، ففي العصر الاموي الذي يعد ابرز خلفائهم الامام عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى، فقد كان خليفة وقاضيا وعالما ومفتيا، وكان مثالا في العدل والامانة، وحربا على الظالمين والفاسدين، وعرف عنه اقباله الشديد على العلم واهتمامه به ايما اهتمام، سيما علم التوحيد والعقيدة، وما يتعلق بهما من علم الكلام، فلقد صنف رسالته المعروفة في محاججة القدرية والرد عليهم، والتي تحوي علما غزيرا وبراهين دامغة، وأدلة قوية في مسألة القدر [50]، كما اشتهر عنه مناظرته للخوارج وكشف عيوب آرائهم وبطلانها، بمنطق قويم، ودليل قوي، وحجة غالبة، ورأي قاهر "[51]، وله كثير من الخطب والدروس والمواعظ التي تؤكد معتقده الصحيح وفهمه السديد لمسائل العقيدة، ومن ذلك قوله: " ولقد اعظم بالله الجهل من زعم ان العلم كان بعد الخلق، بل لم يزل الله وحده بكل شيء عليما وعلى كل شيء شهيدا قبل ان يخلق شيئا وبعد ما خلق، [52]، فبين عمر بن عبدالعزيز هنا ان العلم والشهادة صفتين أزليتين لله سبحانه وتعالى، وهذه هي عقيدة اهل السنة والجماعة في ذلك .

كما انه رحمه الله نهى ان تتخذ القبور مساجد، فقال: " آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قال: قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد، لا يبقى- او قال: لا يجتمع دينان بارض العرب " [53] . بل ان مفهوم الايمان بشكل عام عنده كان واضحا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تماما فقد كتب الى عدي بن عدي قائلا: " اما بعد.. فان الايمان فرائض وشرائع وحدود وسنن، فمن استكملها استكمل الايمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان، فان اعش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها، وان امت فما انا على صحبتكم بحريص " [54] .

ارأيتم كيف هو اثر العلم في شخص عمر بن عبدالعزيز، فلم يلهه الحكم عن العلم، ولا عن ممارسته تعليما ومناظرة ووعظا وارشادا، حتى اصبح محط انظار الناس، يطلبون العلم عنده، مما كان له الاثر الكبير في نفوس الاخرين، وبقي علمه يدرس الى يوم الدين .

وذاك الخليفة العباسي المجاهد، الموقر للعلم والعلماء، قال عنه ابن خلكان: "كان من انبل الخلفاء، واحشم الملوك، ذا حج وجهاد وغزو، وشجاعة ورأي " . في حين حاول اعداء الاسلام تشويه تاريخ هذا الخليفة العظيم وتصويره بصاحب الجواري وشرب الخمر ونحو ذلك . علما بانه رعى الحركة العلمية في زمانه واهتم بالعلم والعلماء، وكانت عقيدته عقيدة اهل السنة والجماعة، عمل على حمايتها والذب عنها بكل ما يملك، والتاريخ شاهد على ذلك .

عن إسماعيل بن إبراهيم قال: أخذ هارون الرشيد زنديقا فأمر بضرب عنقه فقال له الزنديق لم تضرب عنقي يا أمير المؤمنين قال أريح العباد منك قال فأين أنت من ألف حديث وضعتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها ما فيها حرف نطق به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأين أنت يا عدو الله من أبي إسحاق الفزاري وعبد الله بن المبارك ينخلانها فيخرجانها حرفا حرفا"[55].

ومما يؤكد عمق علم الرشيد، سيما في مسائل العقيدة وعلم الكلام وتبصره فيه: قول الخطيب البغدادي:

" قال هارون الرشيد طلبت أربعة فوجدتها في أربعة، طلبت الكفر فوجدته في الجهمية، وطلبت الكلام والشغب فوجدته في المعتزلة، وطلبت الكذب فوجدته عند الرافضة، وطلبت الحق فوجدته مع أصحاب الحديث" [56]

وقال الاصمعي: " اتي هارون برجل يقول: القرآن مخلوق فقتله "[57].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد كان الفضيل بن عياض يقول: ليس موت أحد أعز علينا من موت الرشيد لما أتخوف بعده من الحوادث وإني لأدعو الله أن يزيد في عمره من عمري، قالوا: فلما مات الرشيد وظهرت تلك الفتن والحوادث والاختلافات، وظهر القول بخلق القرآن، فعرفنا ما كان تخوفه الفضيل من ذلك.[58]

وهكذا تتوالى الايام والسنون لنقف على سيرة خلفاء حافظوا على بيضة الاسلام، ورعوا افراد المجتمع الاسلامي، سياسة واقتصادا واجتماعا وعلما وتربية، وكانوا لاعداء الاسلام بالمرصاد، فسطروا صفحات من نور على صحائف الذهب، فهذا السلطان عبدالحميد الثاني الذي قضى شبابه يطلب العلم على عكس ما صوّره أعداؤه بأنه كان شخصًا جاهلاً لا يعرف القراءة والكتابة إلا بصعوبة ؛ فهو قد درس اللغة التركية والفارسية والعربية والفرنسية، وكان يقول الشعر كما كان شغوفًا بقراءة كتب التاريخ، ومنها تاريخ الدولة العثمانية، إضافةً إلى حبِّه الشديد للمطالعة، حتى إنّه أمر بترجمة المقالات والمجلات والصحف الأجنبية التي ترد إليه ؛ ليتمكّن من قراءتها "[59]

وقد عرف السلطان عبدالحميد بتقواه وتمسُّكه بالدين، ولم يُعرف عنه تركه للصلاة قط أو إهماله للتعبّد، وتقول عنه ابنته عائشة: "كان والدي يؤدي الصلوات الخمس في أوقاتها، ويقرأ القرآن الكريم، وفي شبابه سلك مسلك الشاذلية، وكان كثير الارتياد للجوامع لا سيما في **شهر رمضان**"[60] .

هذه الشخصية الاسلامية بما لديها من علم ووعي شرعي وسياسي تمكنت من انقاذ فلسطين من ايدي اليهود لما حاولوا مرارا ان يستوطنوا فلسطين حيث قام السلطان عبدالحميد بإرسال رسالة الى هرتزل بواسطة صديقه نيولنسكي جاء فيها: " انصح صديقك هرتزل، أن لايتخذ خطوات جديدة حول هذا الموضوع، لأني لااستطيع أن أتنازل عن شبر واحد من الأراضي المقدسة، لأنها ليست ملكي، بل هي ملك شعبي. وقد قاتل أسلافي من أجل هذه الأرض، ورووها بدمائهم ؛ فليحتفظ اليهود بملايينهم . إذا مزقت دولتي، من الممكن الحصول

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على فلسطين بدون مقابل، ولكن لزم أن يبدأ التمزيق أولاً في جثتنا ولكن لا أوافق على تشريح جثتي وأنا على قيد الحياة" .

حق لنا ان نفخر بامثال هذا القائد المسلم الصادق، الذي لقن اليهود درسا رجوليا تاريخيا، وما ذلك الا ليقينه وايمانه وثقته بربه سبحانه وتعالى، فهو بهذا قد اثبت للقاصي والداني انه بحق محصن بالعقيدة الاسلامية التي صاغت شخصيته، ومن جهة اخرى جعل من نفسه قدوة ومثالا للاجيال الآتية من بعده .

2ـ أثر العلم في التحصين العقائدي عند العلماء:

تميز عصر الامويين بحركته العلمية المميزة، وعجّ بالعلماء والمفكرين، بعضهم من كبار أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ثم التابعين الذين تتلمذوا على ايدي الصحابة الكرام، ومنهم: الحسن والحسين ابني علي بن ابي طالب، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن الزبير، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، رضي الله عنهم جميعا، وغيرهم . ومن التابعين: الحسن البصري، ومجاهد بن جبر، وقتادة بن دعامة السدوسي، وسعيد بن جبير، ومطرف بن عبدالله الشخير، وابو حنيفة النعمان، ومالك بن أنس الاصبحي وخلق سواهم .

ومن اشهر ما الف في هذه الفترة: كتاب " الفقه الاكبر " والفقه الاوسط "– في علم الكلام –، وكتاب العالم والمتعلم، وكتاب الوصية، كلها لابي حنيفة النعمان . ونظرا لوجود الخوارج في هذه الفترة، وتطور فكرة الامامة، ثم الحديث عن القدر، ثم حكم مرتكب الكبيرة، وأنه يخلد في النار بسب كفره، ظهرت فرقة المرجئة والتي جاءت بنقيض ما جاء به الخوارج، نتيجة هذا الواقع انبرى علماء السنة بالرد عليهم، بالحوارات والمناظرات والكتب، فكان اقدم كتاب الف في الرد على القدرية: " رسالة في ذم القدرية " لابي الاسود الدؤلي . وكتاب " الرد على القدرية "، ورسالة في الامامة الى واصل بن عطاء "كلاهما لزيد بن علي الهاشمي المدني . كما صنف جعفر الصادق ثلاث رسائل في الرد على القدرية والخوارج والرافضة . والكثير من الكتب والرسائل العلمية في مسائل العقيدة والرد على الفرق الضالة، لا يسعني ذكرها في هذا المقام، فجاء هذا الحراك العلمي النشط نصرا لعقيدة التوحيد، فظهر بذلك انهم محصنون بالعلم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمعرفة، كيف لا وهم الذين تربوا على يدي بعض كبار اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكبار علماء التابعين، فتلقوا علما صافيا نقيا نابعا من كتاب الله وسنة رسوله، فنعم المحصِّن ونعم المتحصِّن .وخلفوا إرثا علميا عظيما للامة من بعدهم، فنهلوا منه كما نهل سلفهم، ونشروه في شرق الارض وغربها، مسترشدين بقول النبي صلى الله عليه وسلم الذي يرويه ابن مسعود: " نضر الله امرءا سمع منا حديثا، فبلغه كما سمعه، فرب مبلَّغ اوعى من سامع "[61] .

واما العصر العباسي فهو عصر النهضة العلمية والفكرية والسياسية والعسكرية، لذلك فقد عجّ بالعلماء والمدارس الفكرية والعلمية، وقد ظهر في عهد المأمون جماعة من كبار العلماء والمتكلمين الذين تناولوا أصول الدين والعقائد، وحَكَّموا عقولهم في البحث، ونشأت بسبب ذلك اعتقادات تخالف اعتقادات عامة المسلمين، وجمهور علمائهم المعروفين بأهل الحديث، وكان اعتماد المتكلمين في مباحثهم على العقل دون النقل، ومال المأمون إلى الأخذ بمذهب المعتزلة الفاسد، القائم على نبذ الشرع وتقديم العقل عليه؛ فقرَّب أتباع هذا المذهب إليه، ومن ثَمَّ أصبحوا ذوي نفوذ كبير في قصر الخلافة ببغداد، ووافقهم فيما ذهبوا إليه من أن القرآن مخلوق وهي بدعة ضالة، وعمد إلى تسخير قوة الدولة لحمل الناس على القول بخلق القرآن.

ومن ابرز من كتب في العقيدة في هذا العصر الامام ابن جرير الطبري في كتابه " التبصير في اصول الدين "، والامام ابو حامد الغزالي في كتبه: " المنتحل في علم الجدل " و" تهافت الفلاسفة" و" فضائح الباطنية "و " قواعد العقائد " وغيرها الكثير، والامام احمد بن حنبل في كتبه: " الايمان " و" الرد على الزنادقة " و: " السنّة " وغيرها، والامام البخاري في اشهر كتبه: " خلق افعال العباد " وابن القيم في اشهر كتبه: " التوحيد " وعشرات العلماء ومئات المؤلفات في العقيدة والتوحيد لا مجال لذكرها .

واما الفقه واصوله فقد برز فيه الكثير الكثير ومن ابرزهم الائمة الاربعة وتلاميذهم الذين يعدوا بالمئات على امتداد ستة قرون ورثوا الامة الوف الكتب والرسائل بالفقه وفروعه واصوله من غرب الوطن العربي الى شرقه، وحتى شرق اسيا، ولا زالت آثار مدارس الدولة العباسية ليومنا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحاضر، فكرا وحضارة وفقها وتفسيرا ونحو ذلك، فقد تربى على ارثهم مئات الالوف من طلبة العلم، وجمعت الوف الدراسات والرسائل العلمية بناء على موروثهم العظيم .

واما عصر الدولة العثمانية فقد كان استمرارا للدولة العباسية، وحفلت بالكثير من العلماء في مختلف العلوم والتخصصات الا ان علماء الدولة العثمانية عندما أرادوا أن يتعلموا العلوم الدينية في القرن الرابع عشر، انقسموا لفريقين، **الفريق الأول** ذهب إلى خوارزم وإيران ومنطقة ما وراء النهر، وهي المناطق التي كان يسودها تيار يؤثر جهة العقل في الفكر الديني، ومن ثم تسمكوا بالمنهج الحنفي فقهًا، والماتُريدي عقيدة بصورة قوية. أما **الفريق الثاني** فاتجه إلى الحجاز ومصر والعراق وسوريا، والتي يغلب عليها الطابع النقلي بصورة واضحة، فبناء على هذا انقسم العلماء إلى مدرستين:

أـ مدرسة الإمام الفخر الرازي وروادها:

وقد نشأت على يد أبي منصور الماتُريدي في القرن العاشر الميلادي في القرن العاشر الميلادي في سمرقند وكان من رواد هذه المدرسة الذين أخذوا في تطويرها الإمام فخر الدين الرازي والإمام النسفي، والتفتازاني. تأثر العلماء العثمانيين بهذه المدرسة الكبيرة بصورة أساسية، ولقت مؤلفات هؤلاء العلماء رواجًا كبيرا بينهم، وجرى تدريس كتبهم ومصنفاتهم قرونًا طويلة في المدارس العثمانية. وتشهد دخول هذه المدرسة الحياة الفكرية الدينية عند العثمانيين لأول مرة بشكل واضح مع عالم عثماني شهير يُدعى "شمس الدين محمد" الذي اشتهر بالمنلا فناري (توفى 1431)، والتي انبثق عن علمه مجموعة من الأساتذة والتلاميذ القائمين بطبيعة الحال على نفس المدرسة، فظهر منها أقوى الرواد في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، ولعل أشهر اسمين لعالمين عثمانيين من رواد هذه المدرسة هما: الموسوعي "ابن كمال پاشا" و"أبي السعود أفندي"

بـ مدرسة شيخ الإسلام ابن تيمية وروادها:

وقد مثل هذه المدرسة في الفكر الديني العثماني العالم العثماني "محمد أفندي البركوي" (توفى 1573) و"قاضي زاده". وقد ظهرت هذه المدرسة التي تأثرت بأفكار الإمام في القرن السادس عشر ردًا على مدرسة الإمام الرازي التي كانت تمثل المذهب العقدي الرسمي عند

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العثمانيين. ونستطيع أن نقول أن الخط الرئيسي في فهم العالم البركوي للدين يمكن إيجازه في إزالة البدع التي ظهرت لأسباب متعددة بين المسلمين، والذي جعلته يتصدى لتنقية الدين منها، وقد سجل هذا العالم الكثير من المجادلات في موضوعات مختلفة مع العالم أبي السعود أفندي آنذاك، وعلى الرغم من أن مذهب الإمام البركوي قد ظهر في شتى فروع العلم من عقيدة وفقه وتفسير وغيره، إلا أنها ظهرت بصورة كبيرة وجعلت شهرته كبيرة بعدما وضع كتابه "الطريقة المحمدية والسيرة الأحمدية" المعروف باسم "الطريقة المحمدية" حيث وضعه بالعربية وجرى ترجمته للتركية بعد ذلك. وقد أقبل العلماء على شرحه، وظهرت له شروح كثيرة في أراضي الدولة العثمانية وبلدان العالم الإسلامي؛ فترك تأثيرا واسعًا في زمانه والعهود التالية عليه. فيكون هذا العالم قد أتبع مدرسة أنتج عنها فكرًا إسلاميا سنيًا قد أمتد نفوذها إلى القرن السابع عشر.

3ـ اثر العلم في التحصين العقائدي عند افراد المجتمع:

نظرا لما تمتع به هذا العصر من وفرة كبيرة في العلماء والمفكرين، وتواصلهم مع الناس في حلق العلم في المساجد والكتاتيب ونحوها، وتدريس صنوف العلوم الاسلامية لجميع فئات المجتمع، ذكورا واناثا، صغارا وكبارا، فنشأت مدارس كثيرة لتعليم القران والسنة والحديث والعقيدة وغيرها ففي الشام: نشأت مدراس علمية منذ بداية الفتح الإسلامي لها في عهد عمر بن الخطاب، فقد ذكر الذهبي أن يزيد بن أبي سفيان كتب إلى عمر بن الخطاب أن أهل الشام قد احتاجوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم في الدين، فأرسل إليه معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وأبا الدرداء رضي الله عنهم جميعا [62]، فكان هؤلاء الثلاثة أول مؤسسي الحركة العلمية الإسلامية في الشام، فقد تفرقوا في أقاليمها، فنزل أبو الدرداء في دمشق، وعبادة في حمص، ومعاذ في فلسطين، وتخرج على أيدي هؤلاء الصحابة الكبار عدد كبير من التابعين منهم: أبو إدريس الخولاني ثم مكحول الدمشقي، وعمر بن عبدالعزيز، ورجاء بن حيوة، وغيرهم، ثم خرّجت مدرسة الشام عبد الرحمن الأوزاعي الذي يعد من أقران الإمامين أبي حنيفة ومالك بن أنس، وكان من الطبيعي أن تكون الشام مقرا لحركة علمية واسعة وأن يقصدها العلماء من كل صقع لأنها أصبحت مركز الخلافة الاموية وعاصمتها مدينة دمشق، وفي مصر: نشأت مدرسة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

علمية إسلامية عظيمة بعد الفتح الإسلامي وكان أساتذتها ومؤسسوها أيضا من الصحابة الذين نزلوا مصر، ومن أشهرهم: عمرو بن العاص وابنه عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما الذي يعد من أكثر الناس حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه كان يدوّن ما كان يسمعه من الرسول، وقد سكن مصر فلم يكن يغادرها إلا للغزو أو الحج أو العمرة، ويعد بحق مؤسس المدرسة المصرية وأخذ عنه العلم كثيرون من أهلها.

وقد اشتهر من علماء مدرسة مصر بعد جيل الصحابة كثير من التابعين الذين عاشوا في العصر الأموي، منهم: يزيد بن أبي حبيب، الذي قال عنه الكندي المؤرخ المصري: أنه أول من نشر العلم بمصر في الحلال والحرام ومسائل الفقه، وكان ثالث ثلاثة جعل عمر بن عبد العزيز إليهم الفتيا بمصر والآخران هما جعفر بن ربيعة، وعبد الله بن أبي جعفر.

واستمرت مدرسة مصر التي كان مقرها جامع عمرو بن العاص في الفسطاط تنمو وتزدهر حتى خرّجت الكثير من العلماء، كان من أشهرهم: الليث بن سعد فقيه مصر وإمامها، والذي قال عنه الإمام الشافعي: الليث أفقه من مالك بن أنس، وقد توفي الليث سنة 175 .

أما البصرة: فقد نشأت فيها كذلك مدرسة علمية كبيرة كان أساتذتها من كبار الصحابة مثل: أبي موسي الأشعري وأنس بن مالك خادم الرسول صلى الله عليه وسلم . ومن أشهر العلماء الذين خرجتهم مدرسة البصرة في العصر الأموي: الحسن البصري ومحمد بن سيرين، وكلاهما من الموالي، وكلاهما كانت له شخصية علمية ظاهرة في البصرة.

واما في عصر العثمانيين فقد تسابق السلاطين العثمانيون والأمراء والمقتدرون من العلماء وغيرهم في إنشاء المدارس، فتعددت وزادت العناية بها. والمدرسة هي بناء مجهز لسكن المعلمين والدارسين للعلم الشرعي- ومعظم هذه المدارس يتم الانفاق عليها من عائدات الأوقاف ويرصد ريعها لدفع رواتب القائمين عليها من طلبة ومدرسين، حرصت الدولة العثمانية على الاهتمام بهذه المدارس وزيادة أعدادها فقد وصف الرحالة أوليا جلبي هذه المدارس ومدى كثرتها وأنها تعكس مآثر المهندسين المعماريين في عهد السلطان سليمان خان، كما لها وظيفة اجتماعية أخرى فهي ملجأ المرتادين والمعوزين- فقد كان يجد بها العالم والمتعلم والعابد والمعوز الغذاء

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العلمي والروحي والمادي، والمأوى وذلك لما يلقى فيها من دروس علمية، وما كانت تقدمه من رواتب نقدية للمدرسين والطلبة وبقية العاملين بها .

ومما يميز هذه المدارس في العهد العثماني تميزها بالنشاط والحركة لأن الفتوحات العثمانية أدت إلى كثرة الوافدين على الحرمين ومن ثَمَّ أزداد عدد العلماء الذين طاب لهم المقام في المجاورة لبيت الله الحرام كما أن المدارس السليمانية الأربعة التي أنشأها السلطان سليمان القانوني قد دفع بالحركة العلمية إلى ميادين أكثر تطوراً حيث اشترطت من يقوم بالتدريس فيها أن يكون ممن يتولى منصب الإفتاء حيث إن هذا المنصب يشترط فيه أن يكون من أعلم الفقهاء الحنفية في مكة المكرمة ولهذا تولى الشيخ عبد الرحمن المرشدي الحنفي مهنة التدريس في المدرسة السليمانية، وعلى الرغم من ذلك. فقد تولى مشيخة المدرسة السليمانية الشيخ قطب الدين النهروالي وهو شافعي المذهب .

كما أن العثمانيين خصصوا الأوقاف الكثيرة وخصصوا رواتب للمدرسين والطلاب وكل هذا خلق جواً من الاستقرار النفسي للتفرغ في طلب العلم [63].

بذلك نرى وندرك تماما اثر هذه المدارس على حفظ عقيدة ودين هذه الامة، وتحصينها من كل محاولات طمس هويتها، بدءا من نهايات العصر الراشدي وانتهاء بخلافة العثمانيين، كذلك هو الحال بما قدمه علماؤنا عبر هذه العصور من كتب ومؤلفات ورسائل ومناظرات وحوارات وحراك علمي متنوع اثرى مسيرة الدعوة الاسلامية وحافظ على استمرارها وبقائها نقية صافية محفوظة باذن الله تعالى. يضاف الى ذلك وعي المواطن باساليب اعداء الاسلام ومكرهم، فكان التحصين الحقيقي لعقائدهم وافكارهم وفقههم ودينهم .

المبحث الرابع: أثر العلوم الاسلامية في التحصين العقائدي والفقهي في العصر الحديث، ودور مؤسسات التعليم الشرعي في العالم الاسلامي نحو الاجيال:

من الواضح أن العلوم الاسلامية في العصر الحديث قفزت قفزات هائلة، وخطت خطوات واسعة، فانتشرت مؤسسات التعليم الشرعي في كل مكان، على الصعيدين العربي والاسلامي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من جهة، والعالمي من جهة اخرى، فزخرت المدن بالمدارس والمعاهد والكليات والجامعات الشرعية وغير الشرعية وخرّجت الوف طلبة العلم الشرعي وغير الشرعي، بجهود مئات العلماء والمدرسين الاكفاء من حملة المؤهلات الشرعية، وغير الشرعية، بمختلف التخصصات النافعة والتي ساهمت بشكل واضح في النهضة العلمية المعاصرة بما لها وما عليها، ولعل الدافع الرئيس لذلك ما ورد في القرآن الكريم والسنّة المشرفة من نصوص داعية للعلم والتعلم، ومنها ما ذكرته في المطلب الرابع من المبحث الاول .

ومن هنا نستطيع القول بان العلوم الاسلامية في هذا العصر كان لها اثرا ايجابيا في تربية الاجيال والناس، وان لكليات الشريعة اثرا كبيرا في التحصين العقائدي والفقهي في العالمين العربي والاسلامي حيث تنتشر كليات الشريعة– العامرة بعلمائها ومدرسيها – على امتداد عالمينا: العربي والاسلامي، وتخرّج سنويا حوالي خمسين الف دارس ودارسة، بمختلف التخصصات والدرجات العلمية، يتصدرون المنابر، والامامة في المساجد، والتدريس بمختلف مراحله– ذكورا واناثا –، والفتوى في دوائر الافتاء، مما يؤكد اهمية دور هؤلاء الدعاة والمدرسين والائمة والمفتين، وأنهم على ثُغر هامة وحساسة تشكل مواقع صياغة الفكر والعقيدة والشخصية المسلمة المتوازنة، ذات الفكر الوسطي، والمنهج الرباني البعيد عن الشطط والغلو والتكفير، والحريص على ابراز صورة الاسلام النقية المشرقة كما ارادها الله تعالى.

وضمانة ذلك ابتداءا هو: سلامة التلقي عن اساتذتهم وعلمائهم ومربيهم، كما تلقى اصحاب رسول الله صلى اله عليه وسلم عنه، فنعم المربي ونعم التلاميذ، ونعم من تربى على ايديهم وهم التابعون، ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

فاذا ما حرص الجميع على أداء الامانة باخلاص وصدق، وفهم متوازن، – كما هو ظننا بالجميع– نابع من معين كتاب الله تعالى، ووحي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، كما فهمه الصحابة والتابعون ومن سار على دربهم واقتفى اثرهم، بعيدا عن التنطع وضيق الافق، والتشدد الاعمى، واللجوء الى التفسيرات المأزومة، والموضوع والضعيف من الاحاديث الشريفة . واقحام الافكار الحزبية لمؤسسات التعليم الشرعي .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأولى العلوم عناية واهتماما، علم العقيدة التي بها يتحصّن المرء المسلم- ذكورا واناثا -، وبها يشكل مرآة وانعكاسا للآخرين، والواقع ان كليات الشريعة تزخر بعلماء العقيدة والفكر الاسلامي، ونعلم يقينا انهم يحرصون كل الحرص على تفعيل دورهم الرائد في صياغة عقل وقلب كل دارس ودارسة ليمتازوا بمناقب صاحب العقيدة السليمة والنقية من كل الشوائب والمدنسات، فهو يتمتع بعزة نفس، ونشاط وفاعلية وانتاج، وايثار وتضحية وشجاعة، وسعة نظر ووضوح في الهدف، وقيم وموازين ثابتة، وتوازن بين الروح والعقل والجسم، كل ذلك ليكونوا اهلا لدعوة الناس- سيما طلبة العلم منهم - وتوعيتهم، وارشادهم، ونصحهم لتكتمل دائرة التحصين فتكون عصية على كل هوى وزيغ وضلال وانحراف .

كما قدم هؤلاء العلماء كمّا جيدا من المصنفات المفيدة في تخصص العقيدة الاسلامية، وتبسيطها للناس وطلبة العلم كي يهضموا مادتها بكل يسر وسهولة، ويقدموها للآخرين كذلك.

ويذكر الشيخ طاهر الجزائري اهم ما يمكن ان يتصف به مدرس العقيدة قائلا: " ان تدريس العقيدة يحتاج الى امتلاك طاقة تجريدية، وامتلاك المباديء العقلية التي بها يمكن تصور وتقديم نمط من الاستدلال على صحة مسائل العقيدة، وهذا ما يحتاج اليه طالب العقيدة بشكل خاص حينما يكون مبلغا لها، وبشكل اخص في خطابه لغير المسلمين . ثم يقول: اعلم ان العقل لا يهتدي الا بالشرع، والشرع لا يتبين الا بالعقل، فالعقل كالاساس، والشرع كالبناء، ولن يغني اساس ما لم يكن بناء، ولن يثبت بناء ما لم يكن اساس " [64] .

لنرى ان للشيخ طاهر نظرة عامة في تدريس العقيدة تاتي في الاطار الاصلاحي، والمقصود به اولا احياء علوم الدين، التي تعد اساسا في التحصين العقائدي، وحفظ عقيدة الامة من الضياع والتشويه .

هذا وقد صُنِّف حديثا في علم العقيدة ومسائلها المتنوعة مئات بل الوف الكتب والكتيبات والرسائل العلمية، والحال ذاته في المصنّفات في الفقه واصوله، منها الكثير الذي يُدرَّس في كليات الشريعة ومعاهدها المنتشرة في انحاء العالمين: العربي والاسلامي . وبعضها الآخر تغص به المكتبات الاسلامية والعامة . مما يؤكد يقينا ما لهذه الاسفار من اثر كبيرعلى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سلامة ايمان المسلمين وتحصينهم عقديا وفقهيا، والمساهمة في دفع عجلة الاصلاح في الواقع الاسلامي، ونشر الاسلام بين غير المسلمين .

وحتى يكتمل الحديث عن اثر كليات الشريعة والمؤسسات الدينية في التحصين العقائدي والفقهي، يحسن التوصل الى التوصيات التالية:

1- ضرورة مواكبة كليات الشريعة للمستجدات العالمية في مناهجها وبرامجها وخططها التدريسية لنكون في الطليعة دائما .

2- الارتقاء بالخطاب الاسلامي، مع التركيز على الثوابت، والتفريق بين اسلمة العصر وعصرنة الاسلام .

3- ضرورة التركيز على التاهيل المهني لاعضاء الهيئات التدريسية في كليات الشريعة، لإثراء الكفاءة العلمية لدى الخريجين.

4- التركيز على مبدأ الوسطية والاعتدال، والبعد عن التطرف والغلو في المناهج الجامعية، لتحقق كليات الشريعة دورها الرئيس في محاربة الفكر المتطرف .

5- ضرورة التواصل المستمر بين علماء الشريعة في مختلف المؤسسات والكليات والجامعات الاسلامية .

6- أهمية تفعيل مفهوم " الاستاذ الزائر " بين الجامعات الاسلامية وكليات الشريعة، للإفادة من الخبرات هنا وهناك .

7- اقامة مؤتمر سنوي متنقل بين كليات الشريعة لبحث القضايا المستجدة، وذات الصلة بشؤون الامة ومصالحها .

8- حث خريجي كليات الشريعة- سيما النبلاء منهم- على ممارسة دورهم في ارتقاء المنابر والقاء الخطب، وتعزيز الحالة العلمية لدى الناس، وترغيبهم بالعلم وحب العلماء .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

9- تفعيل دور خريجي كليات الشريعة في مرافقة بعثات الحج، للقيام بمهمة الافتاء والتوجيه الديني، حملا للناس على الالتزام بالسنّة الصحيحة، وابتعادا عن البدع والخرافات التي تُشاهد دائما في مواسم الحج . هذا من جهة، ومن جهة اخرى كف ايدي العابثين والجهلة عن التصدي للافتاء للناس فيَضلّون ويُضلّون .

10- تكثيف برامج التدريس والوعظ والارشاد في المساجد، بما يحقق نفعا للناس، ويوحدهم ويربطهم بعقيدتهم السليمة، وفقههم العملي المستند الى فلسفة الحديث الشريف: " ما خيّر النبي صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن فيه اثما، فان كان اثما كان ابعد الناس منه " [65] .

المبحث الخامس: واقع المسلمين اليوم بين التاثر والتاثير، والواجب ازاء التحديات المعاصرة: [66]،

يقول الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [67] . تؤكد هذه الآية الكريمة على تحقيق معجزة قرآنية، وبشارة لأمة الاسلام، مفادها: ان الاسلام اكثر الاديان أتباعا وانتشارا وظهورا في الارض، وهذا هو الواقع اليوم بالرغم من كل محاولات أعداء الاسلام عبر التاريخ للنيل من الاسلام واهله، والقرآن يؤكد حقيقة قائمة بين الحق والباطل لا تنتهي الى قيام الساعة حيث يقول الله تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ ﴾ [68] . فاستمرار الصراع حقيقة كونية قائمة، وليس المقصود بالصراع هنا صراعا عسكريا فحسب، انما هومع ذلك: صراع فكري عقدي تربوي سياسي اجتماعي اقتصادي، لان نتيجة اي معركة لا تقرر مصير أمة دينيا . فالدين الاسلامي هو الأول في العالم من حيث عدد الأتباع، اذ يزيد عدد المسلمين في العالم عن(1,6) مليار، وبما نسبته حوالي 24 % من عدد سكان العالم، لا يكاد مكان في العالم يخلو من المسلمين، مصداقا لقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: " ليبلغن هذا الامر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر الا ادخله الله هذا الدين، بعز عزيز او بذل ذليل، عزا يعز الله به الاسلام، وذلا يذل الله به الكفر " [69] .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فتحققت النبوءة، وانتشر الاسلام في انحاء الدنيا، بفضل الله اولا، ثم بجهود المخلصين والمجاهدين والدعاة والمصلحين من هذه الامة، وبما حققته المؤسسات والمدارس الدينية، وكليات ومعاهد الشريعة، والجامعات الاسلامية، وبالصحوة الاسلامية والنشاط الفكري والعقدي والدعوي والعلمي والفقهي، منذ بدايات القرن العشرين، وانتشار مئات الآلاف من المساجد في شرق الارض وغربها، فقد كان لذلك كلِّه تاثير واضح ومبارك على الساحتين الاسلامية والعالمية، كما هو واضح ايضا تاثير الجاليات الاسلامية في الغرب، ودخول الآلاف في الاسلام طواعية واقتناعا ورغبة في دين الله، فـــ: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُ﴾[70] .

هذا مع ما يمرُّ فيه العالم اليوم من تسارع كبير في الاحداث، وفي التطور الهائل في جميع مجالات الحياة، وازداد تواصل الناس في هذا العالم في ظلّ العولمة القائمة، والتي فتحت الابواب على مصراعيها للعالِم والجاهل والطالب والتاجر والعامل، والصغير والكبير، والرجل والمرأة، وتنوعت وسائل الاتصال والتواصل بين الأمم بتقنيات عالية، بمرئيّهِ ومسموعهِ ومقروئهِ والتي تمثل تحديّا واضحا للأسرة والمدرسة والجامعة والمسجد والمجتمع بأسره، وللإنصاف فإن لهذا التقدم جوانبَ ايجابية كثيرة، واهمية لا تخفى في حياة الناس العامة والخاصة، وبالمقابل فهناك جوانب سلبية لا يمكن تجاوزها، او غضّ النظر عنها أصابت جميع مؤسسات المجتمع نسبيا .

فكما هناك تأثير للاسلام وعلومه واهله، وحضور لا يمكن انكاره في الداخل والخارج، فهناك تأثر- لا ايجابي- سلبيّ معاكس دبّ بين المسلمين على جميع الأصعدة: في جامعاتنا ومعاهدنا ومدارسنا، ومؤسساتنا العامة والخاصة، واعلامنا واقتصادنا، ومجتمعنا بشكل عام مما أضعف المنظومة العامة لمجتمعاتنا، واستطيع ان الخص جوانب التأثر بما يلي:

1- ادخال مناهج تعليمية ركيكة وموجهة لجامعاتنا ومدارسنا، للإبقاء على مفهوم الاستعمار الثقافي قائما، وتخريج اجيال تعاني من ازمة ولاء للاسلام وانتماء لأمته .

2- اضعاف الكفاءات العلمية بقصد تجهيل الاجيال وتقويضها .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3- اظهار الاسلام بدين الارهاب والتطرف والغلو، وتشويه صورته امام العالم بجريرة ما يجري من سلوكيات وتصرفات بعيدة عن الاسلام، – بل هو منها براء –، من بعض مدعي الاسلام والانتساب اليه .

4- التشكيك في كثيرمن علماء الامة ورموزها ومربيها بقصد نزع الثقة بين الناس وعلمائهم، لقطع الصلة بينهم، فيبقى الناس في واد، والعلماء في واد آخر .

5- المجاملات التي نراها ونسمعها احيانا من بعض دعاة الاسلام، لافراد او هيئات او أنظمة ما على حساب العقيدة والدين والولاء والانتماء، مما يضعف هيبتهم العلمية، وتاثيرهم الايجابي في الناس .

6- غزو عقول ابنائنا وبناتنا، وتسميم افكارهم وعقائدهم، وإضعاف ثقتهم بدينهم، فاصبحنا نرى جزءا كبيرا من شبابنا لا يصلي ولا يصوم، ويعاقر المحرمات، ويتعاطى المخدرات، ولا يفرق بين حلال وحرام، ولا يعرف عن دينه الا النزر اليسير، ناهيك عن حالة السفور التي وصلت اليها المراة المسلمة في الديار الاسلامية، بدعوى التقدم والحضارة والرقي والبريستيج المزعوم .

7- تصوير اعداء الأمة بالأصدقاء والمحبين، بل والحريصين على مصالح المسلمين ودينهم، مما ولّد حالة من خلط الاوراق لدى المسلمين، فأصبحوا لا يميزون بين عدو وصديق، أو عدو صديق وعدو حاقد، او آخر يتربص بنا الدوائر، ولقد صدق الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما قال: " إنما تنقض عرى الاسلام عروة عروة اذا نشا في الاسلام من لم يعرف الجاهلية " [71] .

8 – ضعف الالتزام بالسنّة والهدي النبوي في جوانب حياتنا المختلفة، ومحاكاة الغرب والشرق في عاداتنا وسلوكياتنا المتكررة، كاللباس والطعام والشراب، وبعض العلاقات والمناسبات الاجتماعية المتعددة كالزواج وسائر الافراح والاتراح .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فتنقطع صلة الناس برسولهم الكريم صلى الله عليه وسلم، وبما يؤدي الى قطع صلتهم بالقرآن الكريم، فتصبح الحياة اشبه بحياة غير المسلمين، فتتحقق التبعية التي يسعى لها اعداء الاسلام وحذرنا منها رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم بقوله: " لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم، قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى " [72] .

هذه بعض جوانب تاثر وتاثير المسلمين اليوم، امام التحديات المعاصرة، اما ما هو الواجب فعله حيال ذلك، فيمكن ان نلخصه فيما يلي:

1- قراءة ماضي المسلمين المضيء وربطه بالحاضر، لنقرن بين الاصالة والمعاصرة، بما يحقق للمسلمين رؤية واضحة لمستقبلهم .

2- توجيه الاجيال للاهتمام بالعلوم الاسلامية التي هي عماد الحضارة والرقي والمدنية، سيما علوم القرآن والسنّة والعقيدة والفقه، وحثهم وتشجيعهم لحفظ كتاب الله تعالى.

3- اعادة النظر في بعض المناهج التعليمية، الجامعية أو المدرسية، والتي لا تتناسب وطبيعة الاسلام المعتدل .

4- ترشيد الخطاب الديني- من أي منبر كان- وحمله على خلق الرحمة، لتبديد الصورة المظلمة عن الاسلام لدى الغرب .

5- تكثيف الرسائل- عبر وسائل الاعلام- عن مكارم اخلاق نبينا صلى الله عليه وسلم، وأنه ما جاء لقتل الناس ولا ظلمهم، ولا ترويعهم، ولا ليتسلط عليهم ولا على اموالهم، وحتى في غزواته ومعاركه كان مثالا للرحمة والرأفة، والانسانية .

6- رد الشبهات التي تم الصاقها بالاسلام واهله، باسلوب علمي حكيم، لقوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [73] .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

7- العمل على توحيد العمل الاسلامي، وتقريب ما بين التيارات الفكرية المتعددة، والتذكير دائما بعوامل الوحدة، وانها من اهم اسباب الاصالة والقوة، وابراز هوية الامة .

8- تربية الناشئة (ذكورا واناثا) تربية اسلامية ترتكز الى الكتاب والسنّة، وما هو نافع، وبما يضمن تشكيل شخصيتهم وفق المنهج الوسطي القادر على ابراز صورة الاسلام المشرقة واستقطاب الآخرين .

9- اشاعة مبدأ الحوار القائم على قبول الآخر، وسماع الرأي والراي الآخر، وتجذير مفهوم التعايش والوئام بين الناس.

10- توظيف وسائل الاعلام المتاحة والممكنة لخدمة الاسلام ومشروعه النهضوي، وبالاسلوب الامثل والموعظة الحسنة.

الخاتمة

في نهاية هذا البحث اذكر اهم النتائج:

- مفهوم العلوم الاسلامية شامل لعلوم الشريعة، والعلوم اللسانية، وعلوم التاريخ والجغرافيا، وسائر العلوم النافعة للبشرية .
- للعلوم الاسلامية اثر واضح في التحصين العقائدي والفقهي عبر العصور جميعها .
- طلب العلم فريضة على كل مسلم، فحمل العلم من كل خلف عدوله .
- الاسلام دين علم وحضارة وفكر ومدنية، بدليل ان اول آية نزلت هي قوله تعالى: ﴿ **ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ** ﴾ .
- برز في كل عصر من العصور الاسلامية علماء اجلاء فضلاء، كان لهم اثر كبير في تربية الامة وتحصينها من كيد اعدائها، كما تركوا ثروة علمية هائلة في مختلف العلوم والمعارف .
- كان القادة والامراء في العصور الاسلامية المتقدمة يمثلون علاوة على كونهم امراء، كانوا علماء وفقهاء، يعقدون مجالس العلم والمناظرات والحوارات العلمية النافعة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- تمتد كليات الشريعة والجامعات الاسلامية عبر عالمينا العربي والاسلامي، لكن للاسف اثرها في الواقع والحياة ليس كما هو مأمول ومطلوب .
- التيارات الاسلامية العاملة في الساحة بامس الحاجة الى توحيد الجهود والاهداف والرؤى، والاستفادة من تجارب بعضهم.
- واجب المسلمين اليوم عظيم، ويتمثل في بذل قصارى الجهود لابراز الاسلام في ابهى واجمل واحلى صوره وحماية ابنائهم وبناتهم من الاخطار المحدقة بالامة .
- تواصل علماء المسلمين اليوم بعضهم مع بعض له اثر كبير في خدمة الاسلام والمسلمين على الصعيدين الاسلامي والعالمي.

المراجع والمصادر

1- القرآن الكريم .

2- أبجد العلوم، صديق حسن قنوجي، تحقيق عبدالجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978 م.

3- أثر الايمان في تحصين الامة الاسلامية ضد الافكار الهدامة، د- عبدالله الجربوع، الجامعة الاسلامية، 2003 م .

4- أهمية العلم في الاسلام، فضل الله ممتاز .

5- تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (ابن عساكر) " ت 571 هـ"، تحقيق محب الدين ابي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، طبعة سنة 1995م

6- التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تحقيق ابراهيم الانباري، دار الكتاب العربي، بيروت- 1405هـ.

7- تفسير ابن كثير، اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، " ت 774 هـ "، دار الفكر، بيروت، طباعة سنة 1401 هـ .

8- التمهيد، يوسف بن عبدالله بن عبدالبر النمري، "ت 463 هـ "، تحقيق مصطفى بن احمد العلوي ومحمد عبدالكبير البكري، وزارة عموم الاوقاف، المغرب، سنة 1387هـ .

9- تهذيب الاسماء، النووي، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر- بيروت، ط1/ 1996 م .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

10- الجواهر الكلامية في ايضاح العقيدة الاسلامية، طاهر الجزائري، دار ابن حزم، 1986 م .

11- الحياة العلمية في الحرمين الشريفين في القرن العاشر الهجري، خالد حسن الجوهي .

12- سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، " ت 275 "، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر، بيروت

13- سنن ابي داود، سليمان بن الاشعث السجستاني، "ت 275 "، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الفكر .

14- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، " ت 279 هـ "، تحقي احمد محمد شاكر وآخرون، دار احياء التراث، بيروت .

15- السنن الكبرى، احمد بن الحسين بن علي البيهقي " ت 458 هـ "، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، طبعة سنة 1994 م .

16- سير اعلام النبلاء، محمد بن احمد بن عثمان الذهبي، " ت 747 هـ"، تحقيق شعيب الارناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1413/9 هـ .

17- شرف اصحاب الحديث، ابو بكر البغدادي .

18- صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن احمد البستي، "ت 354هـ "، تحقيق شعيب الارناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2 / 1993 م .

19- صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل البخاري " ت 256 هـ "، تحقيق د- مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط3 / 1987 م .

20- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري " ت 261 هـ "، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار احياء التراث، بيروت .

21- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع الزهري، " ت 230 هـ "،

22- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الافريقي، " ت 711 هـ "، دار صادر، بيروت

23- مباحث في عقيدة اهل السنّة والجماعة، د- ناصر بن عبدالكريم العقل .

24- المجتمع الاسلامي، اهدافه ودعائمه واوضاعه وحقائقه، د- مصطفى عبدالواحد .

25- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن ابي بكر الهيثمي " ت 807 هـ"، دار الريان للتراث، القاهرة، بيروت، طبعة سنة 1407 هـ .

26- مختار الصحاح، ابو بكر الرازي، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان- بيروت، 1995 م .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

27- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، "ت405 هـ "، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1/ 1990 م .

28- مسند ابي يعلى، احمد بن علي بن المثنى ابو يعلى الموصلي، " ت 307 هـ "، تحقيق حسين سليم اسد، دار المامون للتراث، دمشق، ط1 / 1984 م .

29- مسند احمد بن حنبل، احمد بن حنبل الشيباني " ت 241 هـ "، مؤسسة قرطبة، مصر.

30- المعجم الكبير، سليمان بت احمد بن ايوب الطبراني " ت 360 هـ "، تحقيق حمدي السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط2/ 1983 .

31- معجم اللغة العربية المعاصرة، د- احمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط2008/1

32- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، احمد بن عبدالحليم بن تيمية، جامعة الامام محمد بن سعود، 1986

33- الوجيز في العقيدة الاسلامية، عبدالرحمن حبنكة .

34- يغالطونك اذ يقولون، د- محمد سعيد رمضان البوطي .

الهوامش:

1- حديث صحيح، متفق عتيه، أخرجه البخاري، رقم 3411، و6673، ومسلم رقم 1847 .

2- ابجد العلوم، صديق حسن قنوجي. تحقيق عبدالجبار زكار - دار الكتب العلمبة- بيروت - 1978 م /227،

3- مختار الصحاح، ابو بكر الرازي، ص 59، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون بيروت 1995 .

4- تهذيب الاسماء، النووي، 63/3، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر- بيروت- ط1/ 1996 م

5-لسان العرب، ابن منظور، 119/13، دار صادر- بيروت .

6- معجم اللغة العربية المعاصرة، د- احمد مختار عمر، 1527/2، مادة عقد،

7- أبجد العلوم، 445/2، مرجع سابق .

8- الجواهر الكلامية في ايضاح العقيدة الاسلامية، ص 36 " موقع الشيخ عبدالحميد بن باديس .

9- الوجيز في العقيدة الاسلامية، ص8، دار القلم، دمشق، " موقع الشيخ ابن باديس "

10- مباحث في عقيدة اهل السنة والجماعة، ص 11-12 .

11-مختار الصحاح 213/1 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

12 – سورة التوبة آية 122

13– لسان العرب، 522/13

14– ابجد العلوم، 2/ 400، والتعريفات، علي بن محمد الجرجاني، 216/1، تحقيق ابراهيم الابياري، دار الكتاب العربي– بيروت، 1405 هـ

15 –التعريفات، مرجع سابق .

16–انظر مقالة " الفقه في الدين ضرورة ملحة في زمن الفتن والعولمة، د– عبدالرحمن مدخلي، موقع الوكة الشرعية.

17–اجتهدت في وضع هذا التعريف، لانني لم اقف بحدود علمي على تعريف لمفهوم التحصين الفقهي بهذا المعنى المعاصر . والله ولي التوفيق .

18– سورة فاطر، اية 28 .

19– سورة آل عمران، اية 18 .

20– سورة ال عمران، اية 7 .

21–سورة الزمر، اية 9 .

22– سورة المجادلة، اية 11 .

23– سورة العنكبوت، اية 49 .

24 – حديث صحيح بطرقه، اخرجه ابن ماجة في السنن برقم 224، والطبراني في المعجم الاوسط برقم 9، و2008، و2462، وفي الصغير برقم 22، وابو يعلى في مسنده برقم 2837، والبيهقي في شعب الايمان برقم 1664، وغيرهم من طرق وروايات اخرى .

25–اخرجه مسلم في الصحيح برقم 1631، واصحاب السنن .

26 – حديث حسن، اخرجه احمد في المسند برقم 240، والترمذي في السنن برقم 3535، والنسائي في السنن برقم 158، والدارمي في السنن برقم 363، وابن حبان في الصحيح برقم 85

27– متفق عليه، اخرجه البخاري برقم 71، ومسلم برقم 1037

28– سورة هود، آية 61

29– سورة الجمعة، آية 9 .

30– اهمية العلم في الاسلام، فضل الله ممتاز، موقع الباحث الاسلامي .

31– سورة العلق، آية رقم 1 .

32– سورة يوسف، آية 108

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

33- انظر تفسير ابن ابي حاتم 2209/7، عبدالرحمن بن محمد الرازي، المكتبة العصرية / صيدا، وتفسير ابن كثير 497/4، اسماعيل بن كثير دار الفكر، بيروت 1401 هـ، والدر المنثور، 594/4، جلال الدين السيوطي، دار الفكر- بيروت، 1993، ولسان العرب، 65/4

34- انظر كتاب اثر الايمان في تحصين الامة الاسلامية ضد الافكار الهدامة، ص 107، د- عبدالله بن عبدالرحمن الجربوع .

35- حديث صحيح، اخرجه احمد في المسند 293/1، رقم 2669، والترمذي في السنن 667/4، حديث رقم 2516، وقال : حديث حسن صحيح، والطبراني في المعجم الكبير 123/11 .وابو يعلى في المسند، رقم 2556 .

36- اخرجه البخاري في الصحيح، رقم 3416 .

37- اخرج حديثه ابن حبان في صحيحه برقم 7083، وابن ماجة في السنن برقم 150، والحاكم في المستدرك 5238 وقال : صحيح الاسناد.

38- المجتمع الاسلامي، اهدافه ودعائمه واوضاعه وخصائصه، في ضوء الكتاب والسنّة، د- مصطفى عبدالواحد، ص 45 .

39- سورة الحشر، آية 9

40-سورة المائدة، الآيتان : 15- 16 . بتصرف : اثر الايمان في تحصين الامة، ص 106 .

41-اخرجه البخاري في الصحيح برقم 3893، ومسلم في صحيحه برقم 1770 .

42-انظر طبقات ابن سعد 22/2،

43-يغالطونك اذ يقولون، ص 15 .

44-حديث صحيح اخرجه الترمذي في السنن برقم 2656، وابو داود في السنن برقم 3660، وابن ماجة في السنن برقم 231،

45-انظر موقع : قصة الاسلام- اشراف د- راغب السرجاني، بتصرف يسير .

46-كيف تطور الفقه الاسلامي، الشيخ محمد صالح المنجد- الاسلام سؤال وجواب .

47- اخرجه الطبراني من حديث ابي هريرة في مسند الشاميين برقم 599، وابو بكر البغدادي في شرف اصحاب الحديث ص 28، ومن حديث ابراهيم العذري، اخرجه البيهقي في السنن الكبرى برقم 20700، وابو بكر البغدادي في شرف اصحاب الحديث، ص 29، وابن عبدالبر في التمهيد 59/1، ومن حديث ابن عمر اخرجه تمام في الفوائد 350/1، ومن حديث معاذ بن جبل، اخرجه البغدادي في شرف اصحاب الحديث ص 11 .

48-حديث صحيح اخرجه احمد في المسند برقم 17184، وابو داود في سننه برقم 4607، والترمذي في السنن برقم 2676 وقال : حسن صحيح

49-سورة المجادلة، آية 11 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

50-انظر حلية الاولياء، 346/5

51-المرجع السابق، 309/5 .

52-المرجع السابق، 5 / 384 .

53- اخرجه البخاري في الصحيح برقم 1330 .

54- فتح الباري، 45/1 .

55- تاريخ دمشق، ابن عساكر، 7 / 127 .

56- شرف اصحاب الحديث، الخطيب البغدادي، 55/1 .

57- الابانة، ابن بطة، 5/ 370

58-البداية والنهاية / ابن كثير، 45/14 .

59- السلطان عبدالحميد، محمد اورخان علي، ص 148 .

60- والدي السلطان عبدالحميد، مذكرات الاميرة عائشة، ص 80 .

61- حديث صحيح اخرجه ابن حبان في صحيحه برقم 66، وابو يعلى في مسنده برقم 5296، وغيرهما بلفظ قريب منه .

62- سير اعلام النبلاء، الذهبي، 344/2 .

63- الحياة العلمية في الحرمين الشريفين في القرن العاشر الهجري، خالد حسن الجوهي، ص 22، بتصرف يسير.

64- الجوهرة الوسطى في قواعد العقائد، ص 73 . " موقع الشيخ ابن باديس "

65- متفق عليه من حديث عائشة، اخرجه البخاري برقم 6404، ومسلم برقم 2327 .

66- هذا المبحث في اصله مبحثان ارتايت دمجهما بهدف الاختصار، لئلا يخرج البحث عن عدد صفحاته المقررة.

67- سورة التوبة، آية 33 .

68- سورة البقرة، آية 217 .

69- حديث صحيح، اخرجه احمد في المسند برقم 16998عن تميم الداري . قال الهيثمي في المجمع 14/6 : رواه احمد ورجاله رجال الصحيح .

70- سورة المائدة، اية 64 .

71- ذكره ابن تيمية في الفتاوى 301/10 و15/ 54، وفي منهاج السنّة النبوية، 398/2 . واخرج نحوه : البيهقي في الشعب 69/6، وابو نعيم في الحلية، 243/7 . والحاكم في المستدرك، 4/ 475 .

72-اخرجه البخاري من حديث ابي سعيد الخدري في الصحيح برقم 6889 .

73-سورة النحل، آية 125 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com